- أ/د. موسى شروانة.

- البلاغة العربية .

- الأولى ليسانس.

- جذع مشترك.

- تطـــبيق.

- فـــوج:(1،2)

الدروس التطبيقية في البلاغة العربية

للفوجين(1،2)

فـــهرس المحتـــوى.

1- مفهوم البلاغة.

2- مفهوم الفصاحة.

3- قضية اللفظ عند المعتزلة

وعلاقتها بالبلاغة والفصاحة.

4- مفاهيم علوم البلاغة الثلاثة.

5- التقديم والتأخير.

7- مفهوم الحقيقة والمجاز.

1- مفـــــــهوم البـــــلاغة.

- تمهيد: إشكالية المفهوم.

لكلمة البلاغة في المفهوم الاصطلاحي كثير من المعاني ولا تدل هذه الكثرة في تعدد المفهوم على الثراء في الاستخدام على نحو ما يرى بعض الدارسين،وإنما يدل على الاضطراب والتخبط في التعامل مع المصطلح. هذه هي الحقيقة العلمية الثابتة التي يقرها علم المصطلح ولا يعترف بغيرها ؛لأن من طبيعة المصطلح الواحد أن يكون له مفهوم واحد كالاسم للمسمى تماما وإذا تعدد هذا المفهوم فمعنى ذلك أنه خضع لقدر من الاجتهادات والاختلافات في تفسيره وهو ما لا ينبغي أن يكون؛ لأن هذا يعيق عملية التواصل بين الذين يستعملونه.

والدارس للتراث البلاغي القديم يتأكد له ما سبقت الإشارة إليه من أن مصطلح البلاغة قد عرف قدرا غير قليل من الاجتهادات والتفسيرات وتعدد وجهات النظر إليه عبر مراحل تاريخية طويلة من استخدامه. ونظرا لصعوبة تقصي مجمل ما قيل فيه فإننا نكتفي بعرض بعض هذه الاجتهادات والتفسيرات في محاولة لتحديد مفهومه. وسيبدأ الحديث بمفهومه اللغوي ثم يعقبه الحديث عن مفهومه الاصطلاحي وتلك هي البداية الطبيعية للتعريف بالمصطلح كما تقتضيه المنهجية العلمية في البحث.

1- المفهوم اللغوي:

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية للتعرف على المعنى اللغوي للكلمة الثلاثية(بلغ) بما تشتمل عليه من صيغ اشتقاقية مثل(البلوغ) و(المبالغة) فإن ما تفيدنا به هو الدلالة على معنى الانتهاء إلى الشيء والوصول إلى غايته بشكل عام، من ذلك القول:

"بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري،ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته".

2- المفهوم الاصطلاحي:

حرص التراث البلاغي القديم على أن يدون حصيلة كبيرة من المفاهيم لمصطلح البلاغة كما سبق القول، وما أمكن استخلاصه من هذه المفاهيم ينحصر في مفهومين واسعين:

الأول قصد به (فن الكلام) أي طريقة الكلام أو طريقة الأداء حين يكون الكلام ارتجالا أو دون إعداد مسبق أو حين يتم إعداده من قبل. ومن الملاحظ أن هذا المفهوم قد ارتبط في الأغلب الأعم بالمرحلة الشفوية التي سبقت مرحلة التدوين. ومن هذه المفاهيم قولهم البلاغة هي:

1- الفهم والإفهام.
2- لمحة دالة.
3- شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا.
4- الإيجاز.
5- الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل.
6- الإيجاز:والإيجاز هو أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ.
7- مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.
8-"هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كما تمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى. ومن قال إن البلاغة إنما هي إفهام المعنى فقط جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة سواء".

2- الثاني بمعنى (العلم) والمقصود به قواعد الكلام وأصوله وأسسه التي ينبغي مراعاتها فيه أوفي الكتابة ولذلك قسمت البلاغة إلى ثلاثة علوم فرعية هي:

- علم المعاني.
- علم البيان.
- علم البديع.

كما هي عند كبار البلاغيين مثل أبي يعقوب السكاكي(ت 626هـ)في كتابه(مفتاح العلوم) والقزويني(ت739هـ) في كتابه (الإيضاح) وغيرهما من علماء البلاغة.

الخلاصة أن مصطلح البلاغة استخدم في التراث بمعنى(الفن)أي فن الكلام، وبمعنى(العلم) بأصول فن الكلام وقواعده.

وعادة ما يقصد اليوم باصطلاح البلاغة هو العلم الذي يلم بمباحث فن الكلام أو القول وبطرق التعبير فيه.

والرسم التالي يوضح مجمل ما سبق:

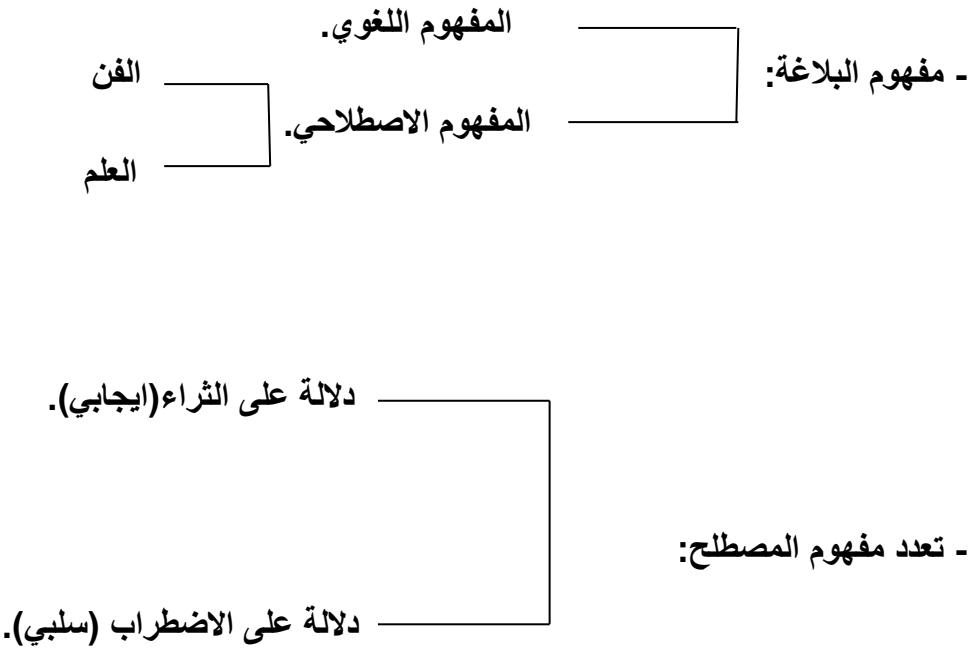

2- مفـــــهوم الفصـــــاحـــــة.

- مفهوم الفصاحة:

تمهيد:

لا يكتمل الحديث عن مفهوم البلاغة إلا بالحديث كذلك عن مفهوم الفصاحة لأنهما مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا ولهذا حرص رجال البلاغة من القدماء على عدم الفصل بينهما والدليل على أن مفهوم البلاغة عندهم لا ينفصل عن مفهوم الفصاحة هو قولهم في أشهر تعريف للبلاغة:

" البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".

فالفصاحة في هذا التعريف جزء من البلاغة وهو ليس جزءا ثانويا يمكن الاستغناء عنه بل هو جزء أساسي فيها ولذلك ختم التعريف بالقول(مع فصاحته)؛ لأنه يجوز أن يتطابق الكلام مع ما يتطلبه المقام ولا يكون فصيحا وبذلك تنتفي فيه صفة المطابقة. ومن هذا يتضح لنا أن مفهوم البلاغة عندهم أوسع وأشمل من الفصاحة.

أ- المفهوم اللغوي:

تنحدر كلمة الفصاحة من المادة الثلاثية (فَصُحَ) ومعناها في اللغة الظهور والبيان بشكل عام كما جاء في المعاجم اللغوية التي عرضت لهذه الكلمة، وهذا يشير إلى أن الشيء الذي لا يكون واضحا وجليا لا يستحق أن يوصف بأنه فصيح، ومن الأمثلة التي تساق في هذا المعنى على الفصاحة قولهم:" فَصُحَ اللبنُ إذا انجلتْ رغوتُه".وفي هذا قال الشاعر:

"وتحت الرغوة اللبن الفصيح".

ب- المفهوم الاصطلاحي:

توجد علاقة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفصاحة، وهي تبدو في المشابهة.فإذا كانت الفصاحة في اللغة تعني الظهور والبيان بشكل عام،فإن الفصاحة في الاصطلاح تعني أن تكون الألفاظ خالية من أي عيب أو نقص سواء

من حيث تركيب الحروف أم من حيث غرابة المعنى أم من حيث عدم مراعاة قواعد اللغة؛لأن عدم خلوها من هذه العيوب يجعلها أشبه ما تكون بالرغوة التي تعلو اللبن. و أشهر هذه العيوب هي:

1- تنافر الحروف:

وهي أن تكون الكلمة ثقيلة في النطق مثال على ذلك: " أن أعربيا سئل عن بقرته فقال: تركتها ترعى (الهُعْخُع)وهو اسم نبات يأكله البقر".

2- الغرابة:

وهي آلا تكون الكلمة غريبة أو وحشية حتى لا تدعو الحاجة إلى البحث عنها في المعاجم اللغوية، كما روي عن عيسى بن عمر أنه سقط عن حماره فأجتمع عليه الناس فقال:"مالكم تَكَأْكَأْتُم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني؟".

ففي هذا المثال توجد كلمتان غريبتان هما(تكأكأتم)و(افرنقعوا) وكانتا سببا في تعجب الناس واندهاشهم لعدم فهمهم ما قاله.

3- مخالفة القياس:

وهي أن تكون الكلمة جارية على غير ما هو معروف في قواعد اللغة كما هو في قول أحدهم: " الحمد لله الأجلل".

فكلمة (الأجْلَلِ) فُكَّ إدغامُها وكان يجب أن تكون (الأجلِّ) بعدم فك الإدغام.

هذه بعض العيوب التي تنفي الفصاحة عن الألفاظ.

أما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد أوضحه ابن سنان الخفاجي(ت466هـ) في كتابه(سر الفصاحة)بقوله:

"والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال عن كلمة واحدة لا تدل على معنى يَفْضُل عن مثلها، بليغة، وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا".

- الفصاحة
  - المفهوم اللغوي.
  - المفهوم الاصطلاحي.

- خلو فصاحة اللفظ من:
  - تنافر الحروف
  - غرابة المعنى.
  - مخالفة القياس.

- العلاقة بين الفصاحة والبلاغة هي علاقة الجزء بالكل.
- الفصاحة لوصف الألفاظ ← فصاحة اللفظ المفرد.
- البلاغة لوصف الألفاظ مع المعاني ← كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا.

3- قضية اللفظ عند المعتزلة في علاقتها بالبلاغة والفصاحة.

ـ قضية اللفظ عند المعتزلة في علاقتها بالبلاغة والفصاحة:

قال عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ):

"في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك، مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم.

ومن العلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تبرحها في صورة هي أبهى وأزين وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا فيه مزية.

وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ومنها واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة. هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة له.

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، فلفظ " الأخدع" في بيت الحماسة:

تلفَّتُ نحوَ الحي حتى وجدتني وَجِعْتُ من الإصغاءِ لِيتاً وأَخْدَعاَ

وبيت البحتري:

وإني وإن بلَّغتني شَرفَ الغِنَى وأعتَقْتَ مِنْ رِقِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن- ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهْـــرُ قَوِّم من أَخْدَعَيْكَ، فَقَدْ أضجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرْقِكَ

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ومن الإيناس والبهجة".ص47،46،44

دلائل الإعجاز.

- الأفكار الواردة في النص:

1- لا جدوى من وصف الكلام أو وصف اللغة قبل استخدامه.

2- الاستخدام أو السياق هو الذي يجعل الكلمة فضيحة أم غير فصحة.

3- البلاغة والفصاحة تكون للمعنى لا للفظ لأن اللفظ تابع للمعنى.

4- المعاني أسبق من الألفاظ طبقا لقوله:

" ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها".

5- وعليه لا تفاضل بين الألفاظ قبل استخدامها مثل كلمة " الأخدع" فهي عند بعضهم تبدو وحسنة وعند آخرين رديئة.

- تحليل موجز للنص:

حاول عبد القاهر الجرجاني في هذا النص أن يحدد موقفه مما وجده عند الدارسين السابقين عليه في حكمهم على الكلام بالبلاغة والفصاحة وما شاكل ذلك من الأوصاف، وبخاصة عند المعتزلة، وأهم ما ورد فيه يتخلص في الآتي:

1- رفضه الحكم على الكلام بالبلاغة أو الفصاحة طبقا للمعايير السابقة وهي:

- أن البلاغة تأتي وصفا للفظ والمعنى.
- أن الفصاحة تأتي وصفا للفظ فقط.
- أن الفصاحة جزء من البلاغة.

2- وتأسيسا على هذه المعايير فإنه يصبح للفظ الأهمية على المعنى وهذا غير صحيح لأن المعنى هو الأهم، ولذلك أصر على أسبقيته على اللفظ بقوله:

"ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها".

3- ركز ابن سنان الخفاجي وغيره على أن فصاحة اللفظ تكون بخلوه من الصفات التالية:

- ألا يكون متنافر الحروف مثل(الهعخع)
- ألا يكون مخالفا للقياس مثل (الأجلَلِ).
- ألا يكون غريبا مثل (افرنقع).

ولكن عبد القاهر يخالفه فيما ذهب إليه في هذه الشروط للفظ ويرى أنه لا يجوز وصف اللفظ بالبلاغة أو الفصاحة قبل الاستخدام لأن الاستخدام هو الذي يحدد له تلك الصفة ولذلك ضرب مثالا بكلمة(الأخدع) فهي - في نظره- يمكن أن تكون فصيحة في موضع، وغير فصيحة في موضع آخر والشاهد في هذا قوله:

"ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها تثقل عليك توحشك في موضع آخر".

4- وبناء على هذا فإنه ذهب يصحح أراء السابقين عليه في قولهم إن المعاني متناهية وأن الألفاظ غير متناهية في حين أن العكس هو الصحيح أي أن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، ولهذا قال:

" ومما تجدهم يعتمدونه ويرجعون إليه قولهم:

إن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ". وهذا الكلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه".

والخلاصة:

1. **لا مفاضلة بين الألفاظ في البلاغة والفصاحة قبل الاستخدام أو قبل الصياغة.**
2. **لا أسبقية للفظ على المعنى طبقا لما جاء عند المعتزلة.**
3. **أن المعاني هي التي تتكاثر وتتزايد، وليس الألفاظ كما ذهب إلى ذلك فريق من البلاغيين.**

4- مفاهيم علـــــوم البلاغة الثـــلاثة.

- توطئة:

انتظرت البلاغة بالمفهوم العلمي الذي عرضناه سابقا قرونا عديدة لكي تكتشف بحوثها، وتنتظم قضاياها وتظهر في النهاية في صورة ثلاثة علوم فرعية هي:

- علم المعاني.
- علم البيان.
- علم البديع.

وقد جاء الحديث عن هذه العلوم الثلاثة في كتاب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي(ت626هـ)في القرن السابع للهجرة، ويهمنا في هذا المقام التطبيقي أن نعرض لمفهوم كل علم من هذه العلوم الثلاثة مع الأمثلة عليها:

1- مفهوم علم المعاني:

يقول السكاكي في تعريفه:

" أعلم أن المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".

1- شرح هذا المفهوم:

" وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن مجالها بحسب ما يتفق".

2- خاصية التراكيب:

"وأعني بخاصية التراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هوهو أو لازما له لما هوهو حينا".

3- وأغني بالفهم:

وأغني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب الأتي:

" إياك نعبد وإياك نستعين "سورة الفاتحة.

" ولكم في القصاص حياة " سورة البقرة.

"وقيل يا أرض أبلعي ماءك،ويا سماء اقلعي وغيض الماء". سورة هود

2- مفهوم علم البيان:

" هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه".

وهذا كما يقال في الكناية عن الجود:

- **مهزول الفصيل.**
- **جبان الكلب.**
- **كثير الرماد.**

وفي إيراد ذلك بطريق الاستعارة.

- **رأيت بحرا في الدار.**

وبطريق التشبيه:

- **هو كالبحر في السخاء.**
- **وهو بحر في السخاء.**

3- علوم علم البديع:

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعايته تطبيقه على مقتضي الحال ووضوح الدلالة. وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ.

أما المعنوي فمنه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين كقوله تعالي:

" وتحسبهم إيقاظا وهم رقود".

أو فعلين كقوله تعالى:

"تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من شاء".

وقول النبي عليه السلام للأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع".

5- التـــــقديم والتـــــأخير

- تمهيد عن الجملة العربية.

من المعروف أن الجملة العربية تقوم على نسق معين. فالجملة الاسمية يتصدرها المبتدأ، ويليه الخبر، ثم ما تعلق به، والجملة الفعلية تبدأ بالفعل، ثم يأتي الفاعل الخ ولكن أحيانا يحدث أن يطرأ تغيير في بعض مكونات هذه الجملة أو في النسق الذي تقوم عليه، وحين ندرس هذا النسق الجديد للجملة فإننا لا نريد أن ندرسها من الناحية النحوية، وإنما نركز على ما في هذا النسق الجديد من دلالة أو دلالات . والدراسة هنا فنية أو بلاغية تسعى إلى معرفة أسرار ما يحمله التركيب الجديد من معان أو دلالات معينة.

لقد درس القدماء النسق الجديد الذي يطرأ على هذا التركيب وأطلقوا عليه مصطلح (التقديم) ومصطلح (التأخير) فماذا نعنى بهذين المصطلحين؟.

مفهوم التقديم والتأخير:

التقديم هو تبادل في المواقع، حيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها في نسقها العادي.

هذا هو مفهوم التقديم أما التأخير فهو نقيض التقديم لأن التقديم يستدعي تأخيرا بالضرورة مادام الأمر يتعلق بالتبادل في المواقع بالنسبة للنسق أو التركيب. فالمبتدأ الذي يترك مكانه في المقدمة للخبر يحدث بينهما التقديم والتأخير بالضرورة. والأمر كذلك في التأخير فحينما نقدم ما لا حق له في التقديم نكون قد أحدثنا تغييرا في المواقع، وفي الصلاحيات. وهنا نطرح السؤال التالي: لماذا نقدم ونؤخر في هذا الكلام أو في هذا النسق؟.

الغاية من التقديم والتأخير:

إن الغاية التي يتوخاها التقديم والتأخير مرتبطة بالمتكلم وبالموقف الذي يريد أن يعبر عنه، ويسعى إلى نقله للآخرين، وقد حاول القدماء والمحدثون حصر بعض صور التقديم والتأخير وربطوها بأهداف معينة منها الأهمية، والاختصاص، والتشديد في الوعيد، والتشويق والإثارة الخ.

1- الأهمية:

إن المتكلم أو المبدع حين يقدم كلمة من الكلمات فإنه يفعل ذلك لغاية تتعلق بأهمية المعنى الذي يستأثر باهتمامه. والأمثلة على هذا عديدة، و لضيق المجال نكتفي هنا بمثالين أحدهما من القرآن الكريم والثاني من الشعر. ففي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومن معه " سورة الأعراف[131].

فالآية هنا ترتبط بموقف معين هو تصوير الوضع الذي كان عليه قوم موسى (آل فرعون). ويتجلى هذا في حالتين متناقضتين:

الأولى هي الرضا بما مَنّ الله عليهم من الخيرات والنعم ولذلك كانوا يبدون مطمئنين مرتاحين، وهم يقبلون على التمتع بهذه النعم والخيرات بشيء من اللهفة والرغبة في التمسك بها والاستحواذ عليها. و قد كان التعبير مناسبا لهذا في قوله تعالى: " لنا هذه" ولو كان التعبير على هذا النحو "هذه لنا" لما برز المعنى الأول.

الثانية هي التذمر والسخط مما يحل بهم من قحط وجدب. و في هذه الحالة تراهم ينسبون كل ما يحل بهم إلى موسى وأتباعه، ويعبرون عن ذلك بالتطير والنكران له ولأتباعه.

إن الموقف الطبيعي المنتظر منهم هو الرضا بكلتا الحالتين: حالة النعم والخيرات، وحالة القحط والجدب غير أنه لما كان هؤلاء القوم جاحدين وأنانيين فقد حرصت الآية على تصوير هذه المفارقة التي يعيشونها في حياتهم. وكان التقديم والتأخير مجسدا لهذه المفارقة. أما في الشعر فنجد ابن الرومي يقول:

ضلَّةً لامرئٍ يُشَمِّرُ في الجَمْ عِ لِعَيْشٍ مُشَمِّرٍ للفناءِ

دائباً يَكنزُ القناطيرَ للوا رِثِ والعُمْرُ دائبٌ في انقضاءِ

فالموقف الذي أراد ابن الرومي أن يعبر عنه هو حرص الإنسان على جمع المال، وحرصه عليه ناتج - في الحقيقية - عن غفلته وقلة حيلته، وقصور نظرته، إذ لو لم تكن لديه غفلة وسذاجة وقلة حيلة لعرف أن حياته قصيرة ومحدودة، وأن المال الذي يجمعه ويحرص عليه لا يستطيع أن يمد في عمره ولذلك كان ابن الرومي يسخر منه ويستنكر فعله معتبرا أن المال ليس هو الغاية الأساسية في الحياة.

إن الأمر هنا يبدو - في نظر ابن الرومي - في شكل مفارقة عجيبة، فمن ناحية نجد هذا الإنسان يحرص كل الحرص على جمع المال، ومن ناحية أخرى نجده يسير إلى الفناء دون أن يتمتع به نظرا لقصر عمره. وقد حرص ابن الرومي على تجسيد هذه المفارقة بتقديم " الحال" (دائبا) على الفعل (يكنز). وكان الأصل أن يقول :(يكنز القناطير دائبا) ولكن هذا التركيب لا يبرز المكانة التي يحتلها المال عند هذا الإنسان كما هو في التركيب السابق.

2- الاختصاص:

يحدث أحيانا أن نجد تعبيرا أو كلاما يعبر فيه المتكلم أو المبدع عن شئ يخصه ولا يشاطره فيه أحد وهو يلجأ في هذا التعبير أو الكلام إلى تقديم كلمة معينة لتجسيد

ذلك المعنى. ويمكننا التمثيل هنا بما جاء في القرآن الكريم وفي الإبداع الشعري. ففي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: " له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير"سورة التغابن [1].

فالآية هنا جاءت لتعبر عن القدرة الإلهية المطلقة، فالله جلت قدرته هو الذي يملك كل شيء، ولا تشاطره فيه قدرة أخرى. وهو لهذه القدرة المطلقة يستحق كل الحمد وكل الثناء. ولكي يجعل هذه القدرة تخصه هو فقط دون سواه فقد قدم شبه الجملة الممثلة في الجار و المجرور (له) وكان حقها التأخير كما هو مألوف في التعبير على هذا النحو: (الملك له) ولكن هذا النمط من التعبير لا يبرز معنى الاختصاص الذي أشرنا إليه، ولا يعبر عنه بالكيفية التي جاء عليها في التعبير الأول. والأمثلة المعبرة عن هذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم منها: قوله تعالى: "يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون"سورة البقرة[3/ 4] .

هذا في القرآن الكريم أما في الإبداع الشعري فالأمثلة كثيرة منها قول الشاعر سليمان العيسى:

لي موطني لا للدخيل ولي بأزهاري عبيــريِ

في هذه الجنـــات والأ نهار في وطني الكبيرِ

فالشاعر أراد أن يعبر عن حبه لوطنه، وعن تعلقه به، وأنه شيء يخصه هو ولا يشاطره فيه أي دخيل. ولكي يبرز أن هذا الوطن له وحده لا لغيره قدم شبه الجملة الممثلة في الجار والمجرور(لي) وكان حقها التأخير بحكم الموقع الذي تأتي فيه باعتبارها خبرا للمبتدأ وهو(موطني) ولكن ترتيبها على النحو التالي:(موطني لي) لا يجسد المعنى الذي أراده الشاعر. وما قيل (لي موطني) يقال في (لي بأزهار عبير) وهكذا.

3-التشديد في الوعيد:

يأتي التقديم والتأخير في بعض النصوص الأدبية لغاية تتعلق بالتشديد في الوعيد. ولدينا أمثلة كثيرة تؤكد هذا الاستخدام في القرآن الكريم وفي الإبداع الشعري. ومما جاء عنه في القرآن الكريم قوله تعالى:" إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم". الغاشية [26/25].

فالموقف الذي أراد تعالى أن يعبر عنه في هذه الآية هو التهديد والتشديد في الوعيد، إذ يقول:إن إيابهم لا يكون إلا إليه هو الواحد الأحد وكذلك فإن حسابهم يعود إليه وحده وليس هناك من يستطيع أن يحاسب عباده إلا هو القادر المقتدر. ولإبراز هذا المعنى قدم الجار والمجرور شبه الجملة (إلينا) مرتين وكان حقه التأخير في محل رفع خبر(إن). ولو أبقى التركيب الأول وهو: "إن إيابهم إلينا ثم

إن حسابهم علينا" لما برز معنى التهديد والتشديد في الوعيد كما هو واضح في التركيب السابق.

إن التعديل في التركيب يشير إلى أن لكل تركيب معنى يتطلبه مقتضى الحال ويستدعيه الموقف، وبقدر ما يتعدد التقديم والتأخير تتعدد المعاني. وقد رأينا في الأمثلة السابقة كيف أن التقديم والتأخير كان فيها لأهداف تتعلق إما بالأهمية أو بالاختصاص أما هنا فقد جاء بغرض التهديد والتشديد في الوعيد. ومن الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها في الشعر قول أحدهم:

إلى كُلِّ طاغٍ يمس الحدودَ سنمضى ونحن الأسودُ الجياعْ

فالشاعر هنا يوجه تهديده إلى كل طاغ تسول له نفسه بالاعتداء على حرمة وطنه، ونراه قد استخدم أسلوب التقديم والتأخير لإبراز هذا المعنى، حيث كان يجب أن يقول في التركيب العادي المألوف: (سنمضي إلى كل طاغ...).ولكنه عدل عن هذا التعبير لأنه أراد التهديد والتشديد في الوعيد بالانتقام إن أقدم المعتدي على المساس بكرامة وطنه، فقدم شبه الجملة(إلى كل طاغ) لتكون ملفتة أكثر وأخَّر في الآن نفسه كلمة (سنمضي) التي كان حقها التقديم. و من الواضح أن التعبير بالتقديم والتأخير أبلغ وأقوى في إبراز المعنى من التعبير المألوف. والأمثلة عليه كثيرة ولا ضرورة لإيرادها هنا لأنها من قبيل التكرار.

4- التشويق إلى المتأخر:

من الأمثلة التي وردت عنه في الشعر والنثر ما سيأتي. ففي النثر نجد أبا طالب قد تقدم يطلب يد خديجة لابن أخيه محمد (ص) فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما، وبيتا محجوجا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا، وفضلا، وعقلا، ومجدا، ونبلا، وإن كان في المال قُلٌّ فالمال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليَّ.

ففي هذه الخطبة نجد أنفسنا أمام نوع آخر من التقديم والتأخير ليس في جزء من أجزاء الجملة، وإنما هو في عرض الموضوع فأبو طالب يطلب يد السيدة خديجة إلى ابن أخيه محمد عليه السلام، ولكنه لا يدخل في الموضوع مباشرة، ولا يواجه بالفكرة، بل يتأتى لها، حتى يقنع بها، لأنه يعلم فيما يعلم أن خديجة من شريفات قريش، وأن لها من الثراء ما ليس لغيرها، وأنها أمنية كثير من سراة القرشيين . ونلاحظ أنه بدأ يتحدث عن نسب بني هاشم آل محمد؛ فإذا هو خير نسب؛ لأنهم من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وانتقل إلى منزلتهم في مكة، فإذا هي خير منزلة؛ لأنهم سدنة الكعبة، والقائمون بأمر البيت الحرام ولهم الحكم في الناس، ثم

تحدث عن محمد؛ فإذا هو خير فتى في قريش، لأنه ليس من فتيانها من يساويه في بره أو فضله أو كرمه أو عقله أو مجده أو نبله وإذ بلغ من نفوس السامعين اعتذر عن قلة ماله بأن المال ظل زائل، يكون حينا، ولا يكون حينا آخر ثم عرض بعد ذلك كله موضوع الخطبة.

ولا شك في أن جمال هذا التقديم نابع من اقترانه بشعور أبي طالب، ومن تقديره للموقف، ومن انتقالاته التي أمتلك بها السيطرة على النفوس، فكان له ما أراد.

ومثلما يكون هذا التقديم في عرض الموضوع النثري، فإنه يكون أيضا في عرض الموضوع الشعري، كما في أبيات الفيتوري التالية:

إنْ نَكُنْ سرنا على الشوك سنينا ولقينا من أذاه ما لقينـــا

إن نكن بتنا عراةً جائعينا أو نكن عشنا حفاةً بائسينا

إن نكن قد أَوْهَتِ الفأسِ قوانا فوقفنا نتحدى الساقطينا

إن نكن سخَّرنا جلادُنا فبنينا لأمانينا سجونا

ورفعناه على أعناقنا ولثمنا قدميه خاشعينا

ومـلأنا كأْسَه من دمنا فتساقانا جراحا وأنينا

وجعلنا حَجَرَ القَصْرِ رؤوسا ونقشناه جفونا وعيونا

فلقد ثُرْنا على أنفسنا ومحونا وَصَمْةَ الذِّلَّةِ فِينا.

ففي هذه الأبيات يعرض الشاعر فظائع الاستعمار في صور تتوالى كما تتوالى صور المأساة حزينة دامية. فقد سار أهل إفريقية دهرا بين أشواك الحياة بعبوديتها وذلتها وحرمانها وقاسوا الآلام منها وكان ليلهم للعرى والجوع ونهارهم للبؤس والحفاء، وكانت الفأس التي يضربون بها الأرض في خدمة جلادهم ، توهي قواهم، ومع ذلك لا يلقونها من أيديهم.

كان هذا الجلاد يسخرهم فيخضعون له. وقد انطووا على نفوسهم، وقبروا فيها أمانيها. كانوا يمجدون هذا الجلاد، فيحملونه على الأعناق، ويخرون له خاشعين

ليلثموا أقدامه. كانوا يقدمون له الدماء ليملأ منها كأسه، ويحتسيها مستمتعا بأنينهم وجراحهم. بنوا له قصرا من جماجمهم، وجعلوا نقشه من عيونهم وأجفانهم.

كان ذلك كله، وقد تحملوه. و نلاحظ هنا أن الشاعر حرص على أن يقدم هذه المآسي في هذا العرض الذي توالى فيه الشرط في الأبيات حتى البيت ما قبل

الأخير ولا جواب له. وفي البيت الأخير يظهر الجواب بعد كل ما تقدم على هذا النحو:

لقد ثاروا على الضعف في نفوسهم، وحطموا بهذه الثورة ما كانوا فيه من ذلة وهوان. وقد لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب الذي أخَّر فيه الجواب ليعرض جرائم المستعمرين متتابعة، تستثير القارئ، وتدفعه إلى مشاركة الشاعر في السخط عليهم.. حتى إذا انتهى إلى آخر الأبيات أحسست إشراقة الأمل بما ذكر عن الثورة التي قضت على الضعف في النفوس، وعلى ما كان من ذلة ومهانة.

والتقديم يرد كذلك في القصة، فكثيرا ما يقدم الكاتب بعض أجزائها لغرض فني يتمثل في التشويق والإثارة ثم يواصل أحداث القصة.

6- مـــــفهوم الحـــــقيقة والمجـــــاز.

- مفهوم الحقيقة والمجاز:

توطئة:

قبل أن نتحدث عن الحقيقة والمجاز بمفهومهما الاصطلاحي يجدر أن نتحدث عن المعنى اللغوي لهذين اللفظين فإن معرفة المعنى اللغوي تمهد لفهم المعنى الاصطلاحي.

1- مفهوم الحقيقة:

الحقيقة مشتقة من حق،يحق، والحق هو الشيء الثابت بمعنى فاعل وهي أيضا فعيلة بمعنى مفعولة، لأن صيغة فعيل في اللغة تصلح أن تكون اسم فاعل أو اسم مفعول.

2- مفهوم المجاز:

أما المجاز فهو مصدر ميمي من جاز الشيء جوازا إذا تعداه ويمكن أن يكون بمعنى اسم المكان من قولهم: " جاز الطريق مجازا" أي سلكه.

ومن المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي لكل منهما. فالحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي، ومن الأمثلة على ذلك قول:الحطيئة يستعطف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، وكان قد ألقاه في السجن لهجائه المقذع:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مــرخٍ زُغْبِ الحَوَا صلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسِبَهم فيَّ قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفَرْ عليك سلامُ اللهِ يا عُـــمَرُ؟

وقال أبو نواس يصف فتاة تبكي:

تبكي فتدري الـــدرَّ من نرجـس وتـلـــطمُ الـــوردَ بعنـــابِ

وقول آخر يصف فتاة باكية حزينة:

فامطرت لؤلؤًا من نرجس وسَقَتْ وردا وعضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ.

- شرح الكلمات:

- الأفراخ:صغار أطفاله.
- اللؤلؤ: الدمع.
- العناب: الأصابع المخضوبة.
- البرد: حبيبات الثلج.
- النرجس: العين.
- الورد: الخد.

نهاية.

مع التمنيات بالتوفيق.